العدد(1387) السنة السادسة - السبت (6) كانون الاول 2008 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

الضمير المعتقل في مشكلات المواطنة وحرية التعبير

الأهرام

١٢/٥

نبيل عبدالفتاح

يبدو أن ثمة تكاثرا للقيود على حريات الرأي والتعبير والضمير، وغالب حقوق المواطنة بل وواجباتها في بلادنا، الإعاقات عديدة سياسية وقانونية وإدارية، والأخطر يتمثل في الأعراف، والثقافة الدينية الوضعية المرعوبة من حرية الضمير والاعتقاد، وقدرة الفرد على امتلاك إرادته الحرة وممارسة حقوقه وحرياته الشخصية في إطار من الخصوصية والأمان. الانتهاكات لحرية الرأي والتعبير بوصفها أم الحريات العامة قاطبة، تأتي من أنظمة التنشئة الاجتماعية والسياسية. في الأسرة والمدرسة والجامعة والإعلام والأحزاب والجماعات الدينية السياسية والمسجد والكنيسة.. الخ. التي تكرس قيمة الطاعة والانصياع، والمداراة والازدواجية، وإنتاج العقل النقلي الذي يؤسس لمنطق البداهات البائس، والذي يناهض التساؤل، والتحليل والنقد والتركيب في التعامل مع الظواهر الاجتماعية والسياسية والطبيعية. من هنا ساهمت بنيات من الموروثات الوضعية، والتقاليد البالية في قمع العقل، وتحويله إلى عقل تابع.. والاستثناءات محدودة.

إن قمع الضمير والعقل والرأي في مصر، هو تعبير عن تداخل تاريخي بين النظام التسلطي بعد يوليو ١٩٥٢، وبين انماط ثقافية ودينية وضعية سائدة. ومن ثم شكلت الأنظمة الدينية البشرية والشمولية في ذاتها قيودا بنائية على الحريات العامة والشخصية.

إن جوهر الشمولية والتسلطية السياسية الوضعية أو الدينية يتمثل في تحول السلطة وإيديولوجيتها . أيا كانت مرجعياتها . إلى منظومة شبه مقدسة لا تقبل الجدل، أو التشكيك في مقولاتها وبنياتها ومرجعياتها، والأهم محاولة صانعي خطاباتها ودعاتها ومروجيها إضفاء حصانة ومس من القداسة حول سلطاتهم وأدوارهم! إن الشمولية والتسلطية تمثلان أيديولوجية قمعية بامتياز، وترميان دائما إلى تشويه وعي الجمهور المخاطب بها، أو المؤمن بمقولاتها.

فالمنظومة الإيديولوجية سواء باسم الاشتراكية أو رأسمالية الدولة أو قداسة المشروع الخاص في ذاتها تنطوي على التمييز والعنف الرمزي والإيديولوجي، ومن ثم تقوم بالفرز بين أتباعها، وبين من تعتبرهم من الأعداء الأيديولوجيين، أنها إيديولوجيا هجومية في ذاتها، ومن ثم تمثل الوجه الآخر لهندسة اجتماعية وحشية قامعة للآراء والمشاعر وترمي إلى المزاوجة بين النمطية، والعشوائية المحسوبة، وبين معايير الحلال والحرام الإيديولوجيين، انها إيديولوجيا مهوسة بالمخاطر والأعداء التي تعبيء الجمهور ضدهم في الداخل والخارج، ويصل الهوس الإيديولوجي والأمني للإيديولوجيا الشمولية والتسلطية والدينية إلى حد الشك في ولاء مؤيديها، وفي بعض قادتها.

وتزداد خطورة هذا الاتجاه عندما يتحول الفقه أو اللاهوت الوضعيان إلى إيديولوجيا أو جزء منها، أو مرجع لها. القداسة والحظر والمنع للأفكار وللإبداعات يسندها ويبررها هؤلاء الوعاظ والكهنة من حراس المعابد الإيديولوجية المعادية لحرية الرأي والتعبير والتدين والاعتقاد وحقوق المواطنة على اختلافها. تحول حراس الإيدلوجيا الشمولية في بلادنا إلى سلاطين وقضاة مسلطين على سلطان العقل الناقد، بل ومحاولتهم إخصاء الروح، روح الفرد والجماعة من خلال منظومات من المعايير والحدود تكبل العقل وحرية الروح والتعبير التي يراد لهم الوقوع في أسر الأصفاد التي يضعها سجن الروح ومعتقلات الإرادة والإبداع.إن اعتقال العقل والروح والإرادة الفردية والجماعية والحرية الأم.حرية الرأي والتعبير . يزداد في ظل نظم ديكتاتورية كانت ولا تزال شرعيتها السياسية موضوعا للتجريح، والشك والتآكل، حيث استبدلت القمع الإيديولوجي وتزييف وعي الجمهور بديلا عن استكمال مقومات شرعيتها السياسية كما حدث في تاريخنا المعاصر. كانت الخصومات الحادة بين نظام يوليو/ تموز، وبين جماعات المثقفين سمت العلاقة النزاعية بينهم، وسعت السلطة الحاكمة دائما إلى فرض سياجات على حريات الرأي والتعبير والصحافة والبحث الأكاديمي، وحرية التدين والاعتقاد وممارسة الشعائر الدينية وحقوق المواطنة عموما. والسؤال الذي نطرحه هنا أين موقع حريات التعبير والتدين والاعتقاد وحقوق المواطنة في حياتنا؟

المواطنة ترتبط بالدولة القومية، والأمة الحديثة ونظام الجنسية، وهي تختلف عن حقوق الإنسان التي تدور حول مطلق الإنسان أيا كان، وفي أي دولة أو مكان في حين أن المواطنة تدور مع الدولة القومية حتي اللحظة الراهنة في تطور عصرنا مع تغيرطفيف! ومن ثم نحن إزاء منظومة من أجيال حقوقا المواطنة تمنح للمواطن سواء أكانت حقوق وواجبات سياسية وثقافية واقتصادية واجتماعية.. الخ، والأهم حقوق دستورية وقانونية محددة. ولا تقتصر المواطنة على الحريات السياسية العامة وغيرها، وإنما تمتد إلى الحقوق الشخصية التي ينبغي احترامها، ومن بينها حرية العقيدة وممارسة الشعائر الدينية.في هذا الإطار لا تمايز الدولة الحديثة بين مواطنيها على سند من المعايير أو التبريرات الدينية أو المذهبية أو الفقهية أو اللاهوتية، لأن جميع المواطنين على اختلاف انتماءاتهم الدينية يخضعون للدستور وقانون الدولة وقضائها المستقبل. وترتيبا على ذلك تبدو القيود القانونية والإدارية على مبدأي المساواة، والمواطنة . والحقوق المتفرعة عنها ومنها حرية التدين والاعتقاد. مشوبة بالعوار الدستوري، وتتطلب مراجعة شاملة لها في ضوء تعديل المادة الأولي من دستور ٧١.

إن النصوص الدستورية المقررة للمواطنة والمساواة تعد قاعدة الأساس في الأنظمة الدستورية الحديثة والمعاصرة وفي الدساتير المصرية. إلا قليلا ،. ومع ذلك تحتاج الهندسة الدستورية المصرية إلى رؤية اصلاحية، تكرس حقوق المواطنة، ودعم النزعة الفردية، وسلطة الفرد السياسية والاجتماعية والإبداعية، ولاسيما سلطان الضمير الفردي الذي يتعين أن تحترمه كافة السلطات والمؤسسات السياسية والحزبية والدينية والبطريركية والمنظمات غير الحكومية أو الأشخاص، ولا يفرضون على الضمير الفردي ما يتأباه أو ما يجعله غير مستقر الوجدان، أو قلق الروح، أو مضطرب الصفاء الذهني. إن جذور انتهاك حرية التعبير والتدين وغيرها من حقوق المواطنة تعود إلى سيادة نزعة الاجماع القسري في ثقافتنا ومن تجلياتها رفض التعددية والرأي الآخر، والميل إلى التركيز على الآراء المتشابهة، واضطهاد الآراء والمواقف المغايرة مما أدي إلى تجزر ثقافة اضطهاد المغايرة والغيرية في الفكر والآراء والتفسيرات والتأويلات الدينية والوضعية الفقهية والدعوية واللاهوتية. ثمة نزعة استبعادية للرؤي المغايرة تعود إلى سطوة النزعة البطريركية الذكورية القديمة والمحدثة التي تدور حول سلطة السياسي الأوحد، ورجل الدين الأوحد والبطاركة السياسيين والدينيين والمذهبين والعرقيين والقبائليين والعشائريين والعائليين... إلخ! إنها ثقافة تعتقل العقل وتأسر الإبداع، والأخطر أنها أضعفت الحيوية الاجتماعية والسياسية وكرست الجمود والترهل السياسي والاجتماعي والإعلامي، والأخطر الجمود الجيلي الذي مثل أحد أخطر ملامح العلاقة بين الأجيال السياسية والصحفية والتكنوبيروقراطية بحيث أدي ذلك إلى ظاهرة الاستبعادات الجيلية، حيث سيطرت أجيال ما قبل وما بعد الحرب العالمية الثانية والستينيات .الأكبر سنا. على المواقع القيادية في الأحزاب والوزارات ورؤساء الوزارات والمحافظين والقضاء، والشركات القابضة وقطاع الاعمال العام.. الخ مما ادي إلى بروز ظاهرة الشيخوخة السياسية في أجهزة الدولة والمجتمع المدني... الخ.

ترتب على هذه الظاهرة الخطيرة ضعف الفرص التي منحت للأجيال الجديدة من السبعينيات إلى التسعينيات من تقلد المواقع القيادية إلا قليلا، ولاعتبارات المحاباة والمحسوبية والموالاة وقد لا تتعلق بالكفاءة باستثناء القضاة. من ناحية أخرى أدي الاستبعاد كسياسة ممنهجة، إلى المس بحقوق المواطنة للاكفاء والموهوبين والشرفاء من الأجيال الجديدة، وحقهم في تقلد المناصب القيادية كحق من حقوق المواطنة، ومن ناحية أخرى أدي الاستبعاد الممنهج إلى عدم إتاحة الفرص لانتقال الخبرات وتداولها بين الأجيال على اختلافها مما كرس الجمود، وتفشي الفساد، وضعف الخيال والإبداع السياسي والتقني والفكري والوظيفي وتمدد أخطبوط الجهل وعدم الكفاءة وأنياب الفساد الوحشي!

إن حق المواطن في تقلد المواقع القيادية في البلاد متى استوفى شروطها. في إطار من المشروعية والنزاهة والأنصاف. يحتاج إلى الإقرار والتعزيز من خلال المعايير المنصفة للتنافس بين جميع المواطنين بلا تمييز على أسس استبعادية.

مومباي و11 سبتمبر .. مقارنة مطلوبة

١٢/٥

فلاديمير سادافوي

مع التصميم في الهند على توجيه أصابع الاتهام حول أحداث مومباي إلى باكستان الدولة وليس إلى الجماعات الإرهابية هناك يطفو على السطح سؤال مهم هو: ماذا تريد الهند من باكستان؟ هل تريد الهند أن تطبق السيناريو الأميركي في التعامل مع الإرهاب باتهام الدول وترك الإرهابيين أنفسهم؟

الجماعات والتنظيمات الإرهابية هي التي تنفذ العمليات الهجومية وليس الدول، لا أفغانستان ولا العراق ولا أي دولة إسلامية أو عربية لها أي ذنب في هجمات الحادي عشر من سبتمبر / أيلول ٢٠٠١، ولا علاقة لدولة باكستان بهجمات مومباي، ولكن الولايات المتحدة تركت العصابات الإرهابية وهاجمت الدول، فهل ستفعل الهند مثلها؟

يبدو جليا مخطط ما يحدث في مومباي إحدى المدن الهندية الكبرى. وهو عمل إرهابي واسع، نفذته مجموعة كبيرة من الإرهابيين الانتحاريين، ومدربة أحسن تدريب. وتتمثل أهدافه المباشرة ومغزاه في عرض القوة والتخويف والحط من معنويات السلطة والمجتمع الهندي.

وجرى تدبير العمل الإرهابي بمخطط حرب أنصار في الشوارع، مع مهاجمة عدة أهداف في وقت واحد. لذلك كان من الواضح أن النجاح سيكتب له في مرحلة تنفيذه الأولية قبل أن يتم قتل معظم المهاجمين في غضون يوم أو يومين، حتما. وكان مدبرو العمل يدركون أن منظمة «مجاهدو ديكان» (مجاهدو الجنوب) غير المعروفة خارج الهند، ستصبح في القريب مشهورة، وسيشتهر في العالم أسم «بن لادن جديد». إن اختيار الأهداف، أشهر الأماكن في المدينة الشهيرة عالميا، مفهوم: فندق «تاج محل». الأفضل بين أحسن الفنادق، وأحد فنادق العالم التي تحظى بالتقدير جدا.

وعلى العموم فإن المدينة التي يبلغ عدد سكانها ١٥ مليونا من كافة الأعراق والديانات، هي أهم مركز مالي في الهند، وأهم بالنسبة للبلد، لدرجة ما، من العاصمة دلهي. ولذا فإن اختيار المدينة مفهوم. وهنا يجب القول إن العمل الإرهابي الحالي بالكم الكبير من الضحايا من القتلى والجرحى ليس الأكبر في تاريخ الهند. ففي مارس عام ١٩٩٣ أودى ١٣ انفجاراً في مومباي نفسها بحياة ٢٥٧ شخصا، وتمخضت عن إصابة ١١٠٠ شخص بجراح.

وجرى في يوليو/تموز عام ٢٠٠٦ تنفيذ عدة تفجيرات في القطارات وفي محطات السكك الحديدية في المدينة تمخضت عن ٢٠٠ قتيل. واكتشفت الشرطة المذنبين، وكانوا عصابات وجماعات وليس دولا، ونلاحظ أن الإرهابيين يطالبون في هجمات مومباي بإطلاق سراح كل المجاهدين الذين اعتقلوا إبان الأعمال الإرهابية السابقة، ويرزحون في سجون الهند، وهذا يعني أنهم هم أنفسهم السابقين، فلماذا إذن اتهام باكستان الدولة؟

الوحدات الأمنية الهندية تعمل بدرجة عالية من التأهيل وقد أثبتت كفاءتها وخبرتها العالية في التعامل مع الإرهابيين، ولدى سلطات التحقيق الهندية المقدرة على معرفة كل ما يتعلق بالمهاجمين ومن يقف وراءهم ويدعمهم، ولا داعي للإسراع بتوجيه الاتهامات لباكستان أو غيرها، حتى لو ثبت بأن الجماعات التي نفذت الهجمات قد أتت من باكستان، فهذا لا يعني ولا يبرر اتهام باكستان، وحتى لو اعترف أحد الإرهابيين بأن جهات رسمية باكستانية تدعمه هو وزملاءه، فقد يكون اعترافه هذا وسيلة للإيقاع بين البلدين وإشعال الصراعات بينهم لصالح جهات أخرى مستفيدة من وراء ذلك .

لقد أنفقت الولايات المتحدة مئات المليارات على حروبها ضد الإرهاب، وذهبت المليارات وبقي الإرهاب، والهند دولة نامية تسعى لأن تصبح قوة اقتصادية وسياسية عالمية، و دخولها في أية حروب الآن من الممكن أن يوقف عجلة التنمية فيها، وربما يكون هذا هو المقصود من إشعال الخلافات بينها وبين جارتها باكستان .

ومن المفهوم أنه لا يوجد من يود تكرار أخطاء الولايات المتحدة، وهل يمكن على سبيل المثال، أن تخطط الهند للاستيلاء على باكستان مع سلاحها النووي؟ واحتلال هذا البلد وأفغانستان والصومال؟

لا يجوز نسيان أن الهند بلد إسلامي جزئيا وفيه مسلمون أكثر مما في باكستان. ولذا يتعين عليها رسم استراتيجية لمكافحة الإرهاب، وأن يتفادى أخطاء الولايات المتحدة .

الدستور

١٢/٥

الفكر العربي ما بين الجذور والتأثر بالغرب

راكان المجالي

يؤرخ كثيرون لبداية الاتصال بين المسلمين والعرب والغرب من جهة اخرى بحملة نابليون في عام ١٧٩٨ ، مع ان الصحيح هو ان بداية التعرف تحققت في زمن الدولة العثمانية في عام ١٧٢٠ ، عندما اوفد السلطان احمد الثالث الى باريس محمد جلبي للتعرف على الجوانب الثقافية والادارية ، وخرج الوفد بنتيجة ان البون شاسع والتناقض حاسم ونهائي ، لكن ما يقوله المؤرخ المصري عبدالرحمن الجبرتي ١٨٥٤« - »١٨٢٢ صحيح عندما يشير الى ان الهوة بين العرب والغرب سحيقة وان العرب لم يعوا ذلك الا بعد الحملة الفرنسية.

وقد بُهر كثير من المفكرين العرب بنمط الحضارة الغربية ابتداء من رفاعة الطهطاوي الى حد ان البعض تجاهل تطور الفكر الاسلامي في حقب التاريخ المختلفة والذي بنى الغرب تقدمه على الاسس النظرية لهذا الفكر الذي نقل تراث الحضارات القديمة ، كما تجاهل الابداعات الفكرية للعرب في بناء المجتمع ابتداء من الماوردي وصولا الى ابن خلدون ، ويجدر التأمل بواقع تطور الفكر العربي في مواجهة تباين الرأيين حول مسألة التربية العربية حسبما يقول الاستاذ منح الصلح ، ففي مقابل منبهرين بالغرب ، درجوا هنا وهناك على القول ان الازمنة الحديثة بالنسبة للعرب بدأت مع مدافع حملة نابليون على مصر نستمع اكثر فأكثر الى من قال ويقول ان هذه الأزمنة انما كانت بدايتها قبل ذلك ، وبصورة أصح مع مقدمة ابن خلدون ، وما دام الموضوع الذي نتكلم فيه متوجها بطبيعة مفرداته الى هموم الحاضر بالدرجة الاولى ، يحسن بنا ان نتوقف قليلا لشرح التباين في تجديد بداية الأزمنة الحديثة.

فها هناك عقليتان تتواجهان: عقلية ترى في دخول نابليون الى مصر بداية زلزال من التحديث على طريقة الغرب وفرنسا بالذات في تقبل كل ما طرح من افكار ومقاييس وما أنشأ من مؤسسات وما رأي من حلول للمشكلات في ما يشبه الوعد بتحويل الشرق الى اوروبا اخرى ، شكلا ومضمونا ، وخاصة شكلا ، وتقوم هذه العقلية على الفرضية الضمنية بأن الحملة البونابارتية ، وان كانت بالاصل هادفة الى خدمة مصالح فرنسا ، الا انها شكلت تحديا لحالة محلية متردية ، فوضعت العرب والمسلمين امام مشهد التقدم ليصبحوا اسرى حلم هو حلم الثورة الفرنسية بشكلها المثالي ، وقد فطر المغلوب على تقليد الغالب ، فلا بد من ان يكون سارقا في أسوأ الاحوال لبعض اسرار تفوق الغرب سواء لتفوق بمهارة السارق او بسخاء المسروق ، لا فرق.

هكذا يريد ان يقول من اعتبر دخول نابليون بداية الأزمنة الحداثة في بلادنا ، اما من اعتبر فكر ابن خلدون هو الوعد الحقيقي ، فقد مثل عقلية مختلفة تماما ، وان لم تكن مناقضة لفكر الاول في كل شيء. انها مقاربة عقلية تعتبر ان بذرة التغيير الحقيقي اقبال العربي على دراسة وضعه بعمق ، ماضيا وحاضرا ، واكتشاف نواحي القوة والضعف في فكره ومجتمعاته وموروثاته وتطلعاته ، واضعا حدا لكل ما ينافي عقله ومصالحه ، مبتكرا طريقه الخاص ، الذي وان شابه غيره في بعض النواحي ، الا انه يبقى طريق القوة الذاتية والنمو الذاتي. الفارق بين المشهد البونابارتي الفرنسي وانجازاته في مصر ومشهد النمو الخلدوني هو الفارق بين شرق يفهم التقدم مجرد عملية تقليد للخارج وشرق جاد يعمل على ان يبدع تقدمه.

انه فارق بين صدمة الحضارة الحديثة وصحوة النمو الذاتي ، لا خيار فيه للمسلم والعربي غير المسلم الا ان ينحاز للثانية. ومن يقرأ مجريات التاريخ العربي منذ قيام الاتصال بالغرب يجد ان عقلية الاعجاب بالغرب والاستسلام له ولقيمه قد أنشأت في احيان كثيرة اوضاعا غير متجذرة وغير قادرة على المنافسة في اقل تقدير ، وان نوع الغرب المجوف السطحي الذي انشأناه عن طريق التقليد والاتباع في اماكن من بلداننا لم يوقف بلادنا عن التردي ، لاننا اخذنا شكل الغرب وأشياءه ومنتجاته دون ان نأخذ سر قوته الاعمق وهو علمه وجديته في بناء ذاته وقدراته.

اما الطريق الآخر الخلدوني ، وما اقل ما اعتمدناه ، فهو الذي ابقى ويبقى بعض ما لنا من الشخصية والامل ، فحيث يسير الانسان العربي على طريق النمو الذاتي والتقدم العلمي واحترام النفس وروح الجماعة ، يعمق قدميه في الارض ويتمكن من الاحتفاظ بما له وتوجيه مسيرته الصاعدة مع الايام.

ان اجتماع الارادة والعقلانية هو في النهاية الذي يضمن للمجتمعات طريق التطور الصحيح وهو الذي يستطيع ان ينقل المجتمعات المسلمة والعربية من حال الى حال.

الأهالي

١٢/٥

الحب في المنفى

فريدة النقاش

يستحق الإنسان إذا كان إنسانا حقا أن يكون محطا للأمل، هذا المعنى هو بعض رسالة الأدب الجميل في كل العصور واللغات أيا كانت الشعوب التي أنتجته أو الكاتبات والكتاب المبدعون الذين شكلوه، وبقدر ما تنجح الأديبة أو الأديب في بث هذه الرسالة للأدب عبر تفصيلات وعلاقات وعوالم متخيلة وشخصيات تكاد لفرط صدقها نراها تمشي بيننا على الأرض بقدر ما يستطيع الأدب العظيم أن يكون عابرا للبلدان والعصور والطبقات، ويظل القراء يعيدون اكتشافه مع كل عصر، ويستخلص منه النقاد أفكارا جديدة عبر إضاءته من زوايا أخرى تستجيب لكل ما استجد في الزمن والواقع.

هكذا نظل نقرأ الأدب الإغريقي ونشاهد المسرحيات التراجيدية الكبرى في صياغات تتجدد مع الزمن، وهكذا نقرأ شكسبير ونعاود قراءته رغم مرور القرون ونكتشف فيه جديدا يخاطب أعمق منابعنا الروحية والأخلاقية، وعاشت شكاوي الفلاح الفصيح التي بثها لفرعونه شعرا قبل آلاف السنين وبقيت شاهدا على الظلم وطرائق مقاومته لتصبح نصا خالدا تعاود الأجيال قراءته وتأويله ضمن غذاء الروح الذي تقدمه الآداب المتنوعة التي سوف تبقى تلهم البشرية وتدفعها نحو إنسانيتها الأصيلة كبوصلة للقيم الرفيعة وللأمل في الإنسان، والتطلع لتقدمه وازدهار حياته عبر الحرية والعدالة والكرامة.

كتبت هذه المقدمة لأبدأ احتفائي بحصول واحدة من روايات الأدب العربي العظيمة على جائزة إيطالية بعد ترجمتها إلى هذه اللغة هي رواية «بهاء طاهر» «الحب في المنفى» والتي سبق أن وصفها الناقد الراحل الدكتور على الراعي بأنها الرواية «كاملة الأوصاف» وهي الصيغة التي وصل إليها الناقد بعد أن تشبع جماليا بالرسالة الكامنة فيها والتي يفوح شذاها جديدا كل الجدة مع تجدد القراءة وإن شئنا أن نلخص موضوع «الحب في المنفى» لا يسعنا إلا أن نستعيد رواية تتناص الحب في المنفى معها وهي بدورها واحدة من الروايات الكلاسيكية الجديدة في أدبنا العربي المعاصر أي «قنديل أم هاشم» ليحيى حقي، فالحب في الروايتين عابر للبلدان والجنسيات، لكن تتميز الحب في المنفى بأنها تجاوزت فكرة الارتطام بين الشرق والغرب بين القدامة والحداثة كموضوعة فلسفية لتجعل منه رؤية سياسية تقدمية ثاقبة ونقدية للتيارات العنصرية في كل الثقافات والحضارات بما في ذلك حضارة البطل الشرقي المصري الذي يعيش في مدينة أوروبية يجري فيها صراع من جهة بين إمكانية أن تصبح بوتقة للحضارات والثقافات كافة تتفاعل فيما بينها مستلهمة الإيجابي والنبيل والإنساني فيها، ومن جهة أخرى النزعات العنصرية والاستعمارية الاستبعادية الاستغلالية بما فيها الصهيونية جنبا إلى جنب الأصولية الإسلامية حيث يتجلى التعصب باسم الإسلام لا فحسب باعتباره وجها مجازيا آخر للتعصب اليهودي وإنما هو أيضا مثله مثل الأخير مرتبط ارتباطا وثيقا بدوائر المال وعالم النفط وأثريائه من العرب.

وحتى يعلي الكاتب من شأن فكرة البوتقة التي يتجلى فيها التفاعل والتناغم لا بين القيم الرفيعة وحدها وإنما أيضا بين البشر كأفراد وشخصيات لها خصوصياتها الإنسانية ومنابعها وتقاليدها، قد مر «بهاء طاهر» في هذا السياق بشخصية اليهودي التقدمي المعادي للصهيونية والذي تحول إلى ناشط سياسي دفاعا عن حقوق الشعب الفلسطيني واحتجاجا على بشاعة ما حدث من مجازر في مخيمي صبرا وشاتيلا أثناء غزو إسرائيل بيروت عام ١٩٨٢.كما قدم شخصية الممرضة الأوروبية المتطوعة التي سافرت إلى المنطقة العربية لتعمل مع اللاجئين الفلسطينيين وكانت شاهدة على المجزرة.، وقدمت شهادتها من موقعها الإنساني بصرف النظر عن ديانتها أو جنسيتها أو جنسها، وهكذا يكتسب الحب معنى أشمل من الحب الشخصي ليمتد إلى القيم الإنسانية العليا التي تتجاوز كل عنصرية أو تعصب وتنتصر للحق وتساند المظلوم أينما كان وأياً كان موقعه.. إن «المنفى» هنا هو منفى مجازي فقط لأنه بعيد عن الوطن الأصلي لكنه على الجانب الآخر بوتقة للإنسانية.. وللحب بمعناه الأشمل. وربما ستعم القيم الإنسانية والجمالية المتضمنة في هذا النص البديع وفي غيره من النصوص الجميلة لو أن صناع السينما في بلادنا وفي العالم التفتوا لهذه الأعمال، ولو أن وزارة التربية والتعليم وفرتها في مدارسها ليتعلم الطلاب قراءة الأدب الرفيع فترتقي أذواقهم وسلوكياتهم.